المحاضرة الرابعة: الفصائل اللغوية د باديس لهويمل

كان لاكتشاف اللغة السنسكريتية أواخر القرن 18 م أثر كبير في تطور الدراسات اللغوية في أوربا، ذلك أن البحث اللغوي الهندي تميّز بالدقة والاهتمام بالدراسات الوصفية والابتعاد عن الفلسفة والجدل، وقد تبيّن للغويين وجود صلة قربى كبيرة وأوجه شبه بارزة مع اللغات الأوربية، مما دفعهم إلى دراسة ذلك والبحث عن العلاقة بينها فقاموا بتتبع تطور الألفاظ ومقارنة التطورات الحاصلة بينها، فدرسوا كل ذلك دراسات وصفية وتاريخية مقارنة، بحثا عن الأصول المشتركة، ورغبة في الوصول إلى اللغة الأم، ووضع قوانين عامة للغات، ثم دفع البحث في مثل هذه الدراسات التاريخية المقارنة إلى دراسة كل لغات العالم وبحث العلاقات الكامنة بينها، وهو ما عُرف فيما بعد بالفصائل اللغوية ، وبرزت فيها نظريات.

ولعل أفضل النظريات في تقسيم اللغات هي التي تعوّل على صلات القرابة اللغوية، فتنشيء من كل مجموعة مماثلة أو متشابهة في الكلمات وقواعد البنية والتراكيب فصيلة من الفصائل, تؤلف بينها غالبًا روابط جغرافية وتاريخية واجتماعية.

وعلى هذا الأساس لاحظ العلماء مجموعتين هامتين متميزتين، سموا إحداهما: **الفصيلة الهندية ـ الأوربية Indo-Europeenne**، والأخرى **الحامية ـ السامية Chamito - Samitiques**، وتنبهوا إلى صلات القرابة بين اللغات الداخلة تحت كلٍّ منهما على حدة، وإلى الصفات المشتركة بين الفصيلتين كلتيهمتا، ثم جاء ماكس مولر Max Moller بتقسيمه الثلاثي للغات، حين سمى طائفة من اللغات الأسيوية والأوربية التي لا تدخل تحت الفصيلتين السابقتين باسم **الفصيلة الطورانية Touranienne.** وإنما كان الاسم اصطلاحيًّا؛ لأن أفراد الفصيلة الأخيرة متنوعة جدًّا، ومتباعدة جدًّا، وليس بينها روابط لغوية واضحة, وهذا ما دعا المحدثين من علماء اللغة إلى تقسيم ما بقي من اللغات الإنسانية إلى تسع عشرة فصيلة، تنفرد كل فصيل منها بروابط من القرابة اللغوية في الأصول والقواعد والتراكيب، وبذلك أصبحت فصائل اللغات الإنسانية إحدى وعشرين؛ أهمها الأوليان، والباقية ثانوية متفرقة في أنحاءٍ مختلفة من العالم, ولا بد من كلمة عجلى حول الفصيلتين الهامتين.

أ- الفصيلة الهندية ـ الأوربية:

وهي أكثر اللغات الإنسانية انتشارًا، والشعوب الناطقة بها جليلة الأثر في الحضارة الإنسانية الحديثة, ومن العسير تحديد موطنها الأصلي, فمن ذاهب إلى نشأتها في آسيا بمنطقة التركستان، ومن قائل بنشأتها في المناطق الروسية بأوروبة الشرقية، ومن قائل أنها في مناطق بحر البلطيق.

وهي تشتمل على ثمانٍ من طوائف اللغات:

1- اللغات الآرية: بفرعيها الهندي والإيراني.

2- اللغات اليونانية: وتشمل اليونانية القديمة، واليونانية الحديثة التي قامت على أنقاض القديمة في القرون السابقة للميلاد، ولغة اليونان في العصر الحديث.

3- اللغات الإيطالية، وأهم فروعها: اللاتينية التي تشعبت منها الفرنسية والإسبانية والإيطالية والبرتغالية ولغة رومانية.

- اللغات الجرمانية، وأهمها شعبتان: شعبة اللغات الجرمانية الغربية، وفيها الإنجليزية -السكسونية، والإنجليزية الحديثة، والهولاندية والألمانية, وشعبة اللغات الجرمانية الشمالية, وهي لغات الدانيمرك والسويد والنرويج.

5- اللغات السلافية: وهي شعبتان صقلبية وبلطيقية؛ فمن الصقلبية الروسية، والتشيكية، والبولونية، والبلغارية الحديثة, ومن البلطيقية: الليتوانية، والبروسية القديمة.

6- اللغات الأرمنية. 7- اللغات الألبانية.

8- اللغات الكِلتية التي كان ينطق بها شعوب الكلت Les Cletes, وقد غلبتها الآن اللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية، وإن بقيت ظواهر منها في لهجات إيرلندا ومنطقة البريتون Bretagne غربي فرنسا,.

ب- الفصيلة الحامية - السامية:

المناطق التي تشغلها هذه الفصيلة ليست شديدة الاتساع كالمناطق التي تشغلها الفصيلة الأولى "الهندية - الأوربية" إنها تشمل بلاد العرب وشمال إفريقية وجزءًا من شرقي إفريقية، غير أن مناطقها تكاد تشكل منطقة واحدة متماسكة، ومستقلة، وتلك مزية كبيرة من مزاياها, وهي ذات مجموعتين:

أ- **مجموعة اللغات الحامية**، وفيها المصرية والبربرية والكوشيتية.

وقد اصطلح على إدخالها في مجموعة واحدة، مع أن صلات القرابة بينها ضعيفة، ولذلك يعد بعضهم كل فرعٍ منها مستقلًّا برأسه على حدة.

واللغة المصرية تشمل المصرية القديمة والقبطية، أما البربرية فهي لغة السكان الأصليين لشمال أفريقية "تونس ومراكش والجزائر وطرابلس والصحراء والجزر المتاخمة لها"، وأهمها اللغة القبائلية Kbyle, والتماشكية Temachek وهي لغة قبائل التوارج Touareg "الطوارق".

وأما الكوشيتية فهي لغة السكان الأصليين للقسم الشرقي من إفريقية، وبها يتكلم نحو ثلث سكان الحبشة. وهنالك مناطق في الحبشة تتكلم بلغة سامية.

ب- مجموعة اللغات السامية, لها محاضرة خاصة؛ لأن لغتنا العربية تفرعت منها.

ج- فصائل اللغات الإنسانية الأخرى:

أما بقية اللغات الإنسانية الأخرى فقد ذهبت جمعية علم اللغة بباريس إلى قسمتها إلى تسع عشرة فصيلة أهمها:

1- فصيلة اللغات الطورانية؛ كالتركية والمغولية والمنشورية، وبها سمَّى **ماكس مولر** جميع الفصائل الباقية على سبيل الاصطلاح الخاص.

2- فصيلة اللغات اليابانية.

3- فصيلة اللغات الصينية - التيبيتية "ومنها لغة سيام".

4- فصيلة اللغات الكورية "لسكان شبه جزيرة كورية".

5- فصيلة اللغات القوقازية "ويستثنى منها اللغات القوقازية السامية، والهندية الأوروبية".

6- لغات الهنود الحمر في أمريكا، وهم سكانها الأصليون.

7- لغات السودان وغانة، وقد قسَّمَها العلامة Maurice Delafosse إلى 435 لغة, ترجع إلى ست عشرة شعبة, أهمها الشعبة النيلية، والشعبة النوبية، والشعبة الاستوائية، والشعبة الكونغوية.

8- اللغات الملايوية البولينزية Malayo - Polynesiennes ومنها الأندونيسية والميلانيزية "جزر سليمان، وسانت كروز، وتوريس".

وقد عرضت جمعية علم اللغة بباريس Societe de linguistique paeis بحثًا موجزًا في دراسة هذه الفصائل التسع عشرة, بإشراف الأستاذين Meillet ومارسل كوهين Marcel Cohen, فجاء البحث في نحو ست مئة صفحة من القطع الكبير "من 153-713"، وذلك في الكتاب الضخم الشهير "لغات العالم" "Les langues du Monde".

طريقة أخرى لتقسيم اللغات إلى فصائل:

هناك طريقة أخرى لا تعول في تقسيم اللغات على صلات القرابة اللغوية، بل تستند في هذه القسمة إلى قوانين التطور والارتقاء المتعلقة بقواعد الصرف والتنظيم.

وأشهر نظرية في هذه الطريقة هي نظرية العلامة شليجل Schlegel, التي اتبعه فيها كثير من الباحثين.

في ضوء هذه النظرية ثلاث فصائل:

1- اللغات التحليلية Analytiques.

2- اللغات الإلصاقية Agglomerantes.

3- اللغات العازلة isolantes.

ويرى أصحاب هذه النظرية أن اللغة الإنسانية نشأت عازلة، ثم تطورت فأصبحت إلصاقية، ثم ارتقت أخيرًا إلى التحليلية.

أ- **واللغة العازلة** هي غير المتصرفة؛ فبنية الكلمات فيها لا تتغير، وأصولها لا تلصق بها حروف زائدة لا قبلها ولا بعدها، وليس بين أجزاء تراكيبها روابط وصلات, ويدخل في هذه اللغة الصينية, وكثير من اللغات البدائية. ب- **واللغة الإلصاقية**: هي لغة وصلية تمتاز بالسوابق prefixes واللواحق Suffixes, التي تربط بالأصل فتغير معناه, وعلاقته بما عداه من أجزاء التركيب، وأشهر هذه اللغات: اليابانية والتركية وبعض اللغات البدائية.

ج- **واللغة التحليلية**: هي المصرفة التي تتغير أبنيتها بتغير المعاني وتحلل أجزاؤها المترابطة فيما بينها بروابط تدل على علاقاتها, ومن هذه اللغات: السامية، وفي طليعتها العربية، وأكثر اللغات الهندية، والأوربية.

وأصحاب هذه النظرية يستدلون على مراحل التطور فيها بلغة الطفل ولغات الأمم البدائية، ويرون أن مرحلة التصريف والتنظيم مرحلة متأخرة في اللغات الإنسانية, ولكن هذا خطأ، فجميع الظواهر "العزل والإلصاق والتصريف" موجودة في مختلف الألسنة، ومن العسير أن تتجرد منها لغة من اللغات1.

وقد حاول كثير من الباحثين أن يقارنوا بين الفصليتين الهامتين "السامية" و"الهندية والأوربية", والتوسع في هذا خارج عن نطاق بحثنا؛ فسنكتفي بإشارة عابرة إلى خصائص اللغات السامية تمهيدًا لبحث خصائص لغتنا العربية التي تفرعت عنها.